مؤتمر الطب الإسلامي الأول بالكويت

د. يوسف الحميدان

١٠٦ ربيع أول ١٤٠١هـ

١٢ ١٦ يناير ١٩٨١م

دولة الكويت

أربع كلمات فقط أيها القارىء الكريم .... تشكل حدود أمر عظيم وخطير .. كان عظيما في الماضي .. فاصبح خطيرا في حياتنا العصرية الحديثة .

أربع كلمات فقط .. ليس في وضعها عناء ... وليس في وصفها مهارة ... وضعت على (طاولة التشريح) في الكويت الشقيق ... مع أربعة أيام كانت حاسمة في تاريخ العلم ... ابتدات في عامنا هذا ... ولا أعتقد أن النهاية لها قريبة .

أربع كلمات لا غيرها .. سأحاول استنباط مضامينها .. وسأحاول (تشريح معانيها) على طاولة التاريخ .. هنا في المملكة العربية السعودية .. الغرض منها مفهوم مقدما .. والأسباب لها معروفة بلا تمهيد ... أقول هذا والمؤتمر بحد ذاته (اسلامي) الصبغة .. يعنى المملكة العربية السعودية (تماما) ... أن تكون هي رمز هذه الصبغة .. وهي جوهرها .

أول تلك الكلمات يا أخي الكريم .. هي كلمة (مؤتمر) .. ولا أحسبها أمامك في حاجة الى تفسير أو ايضاح .. فقليل من اللمسات (الوصفية) أو التعبيرية .. كافية جدا لازالة أي غموض أو ابهام ... وبدون شك قد تختلف معي .. ورغم هذا فهي كلمة ذات معان مكثفة ... أولها جميل وعظيم .. وآخرها أجمل وأعظم .. أنها تعني (الجماعية) بدلا من الفردية .. والمجموع بدلا من الفرد .. لا من أجل ايجاد حلول حاسمة فحسب .. وانما لتمزيق منغصات الحياة الضرورية المعقدة .. والتي فرضتها علينا حياة العصر الحديث .

وثاني تلك الكلمات .. هي كلمة (الطب) .. وعلم الطب كما هو معروف واسع وعميق .. يتفرع الى فروع متعددة .. ويتشعب الى شعب مختلفة .. قد ندخل الى صميم (صناعتها وأعمالها) في سرد الكلام المقبل .

وثالث تلك الكلمات ·· هي كلمة (اسلامي) ·· وأقولها بصـــدق واخلاص ·· أن في هذه الكلمة تكمن كل ضرورات الحياة الاسلامية ·· وفي هذه الكلمة أيضا ·· كل مكامن الخطورة وان بدت هينة يسيرة ·· وأقولها بلا نفاق أو رياء ·· لا يقدر على الخوض في (معانيها ومضامينها) الا من وهبه الله بسطة ·· لا في علم واحد فقط ·· وانما في علوم الأرض مجتمعة ·

أما رابع تلك الكلمات ·· فهي كلمة (الأول) ·· وهي حقيقـــة لا تحتاج الى دليل أو برهان ·· فمعالجة أمور هذا المؤتمر ·· لم تكن لها سابقة فيما مضى من الأيام ·· ولقد اشترك في تحليلها أكثر من (الثمانين) ما بين مضى من الأيام ·· ولقد اشترك في تحليلهـــا أكثر من (الثمانين) ما بين طبيب وباحث وصيدلاني ·· فأحدهم اما عالم عاقل يعيش في بلاد اسلامية ·· واما عالم موهوب يدفعه الحب والاعجاب بهذا الفن الانساني الرفيع ·· الفن العالمي الفريد من نوعه ·· الفن الذي فتح أبواب الحضارة والنهضة العصرية ·· لا الى الغرب الحديث فقـــط ·· وانما الى الشرق الحديث أيضا ·

ونعود مرة أخرى الى ذلك المؤتمر ·· نعود اليه وهو الأول من نوعه كما قلنا ·· فنتساءل : ـ

١ ـ ترى ما هي المقاصد والأغراض من (عقده) في هذا العام ؟!

٢ ـ ترى ·· أهي الجمع مابين أطراف الماضي والحاضر فقط ؟!

٣ ـ أهي الجمع مابين (مواضيع علميـــة) كانت مبعثرة في أعوام غابرة ؟! ·

٤ ـ أهي الجمع مابين الدول الاسلامية للشورى في أمور حيوية لهـا ضرورتها وخطورتها ؟! ·

٥ ـ أهي الجمع مابين الأعشاب الطبيعية والمعمولات الصيدلانية ؟!

٦ ـ أهي الجمع ما بين الابتكارات العلمية القديمة ·· كانت مطمورة في المعاجم والمكتبات ؟!

٧ ـ أهي الاكتشافات الحديثة التي تفتقت عنهـــا العقول العصرية الحديثة ؟! ·

٨ ـ أم هي الجمع مابين كل هذه الصناعات والمهارات مجتمعة ؟ ٠

أنا في موقفي هذا ٠٠ لا أحدد ولا أقرر ٠٠ ولكنني أعود الى ماحدده (رئيس المؤتمر) من حدود ٠٠ حدود قد تكون شاملة ٠٠ ولكنها في بداية الطريق ٠٠ المقاصد والأغراض أمامها متعددة ومتنوعة ٠٠ والأهـــداف والغايات من حولها كثير ونبيلة ٠٠ فسرت تفسيرا مجملا على هذه الصورة :

١ ـ منها مايتعلق بالتراث الاسلامي ٠

٢ ـ منها مايتعلق بالدراسات التطبيقية ٠

٣ ـ منها مايتعلق بالمنهج الشامل الذي يفتقر اليه الطب الحديث ٠

٤ ـ ومنها مايتعلق بأداب المهنة والسلوك العلمي ٠

أخي القارىء الكريم ٠٠ ليس هذا كل ما في الموضوع ٠٠ وليس هذا كل ما كانوا يقصدون ٠٠ فما الأهداف والغايات الأربعة (هذه) الا مقدمة لمواضيع قادمة ٠٠ ولمواقف معقدة ومتشعبة ٠٠ قد نقف أمامها وقفة انسان فخور معجب ٠٠ وقد نتعامل معها معاملة انسان يفهم بواطن الأمور ٠٠ فوقفة الخبير المجرب هي المحك والمعيار ٠٠ لا ينجح في (تصنيفها) أو التمييز مابين قديمها وحديثها الا أدمغة جبارة ٠٠ وقلوب كبيرة ٠٠ وللغوص في هـــذا الموضوع ألف طريقة وطريقـــة ٠٠ وللدخول الى حقائقهـــا ألف موقف وموقف ٠٠ لا يدرك مداه وآثاره الا من عرف خفايا العلم وأسراره ٠٠ الا من عرف الخفايا والأسرار للتشريعات السماوية المقدسة ٠

فلقد نوقشت على طاولة (التشريح) تلك ٠٠ أمور كثيرة ومتعددة ٠٠ في اعتقادي أنها لم تكن كافية لمعالجة كل الوجـــوه والجوانب ٠٠ زد على ذلك ٠٠ أن كلمة (المعالجة) لا أعني بها ايجاد الحلول للعقد والمشكلات ٠٠ وانما ايجاد الشفاء لكل الأمراض الاجتماعية ٠٠ في المجتمعـــات المسلمة أولا ٠٠ والمجتمعات البشرية ثانيا ٠

الخطأ والعيوب ليست في أبداننا فقط ٠٠ وانما في نفوسنا أيضا ٠٠ قد أكون مصيبا في تفسيري هذا ٠٠ وقد لا أكون ٠٠ ورغم كل هذا فالخطأ لا يمنعني أبدا من أن أقول ما أعتقد ٠٠ ففي العقل أمور وهواجس ٠٠٠ وفي النفس خواطر وآمال ٠٠ ليس في مقدوري الكلام عنهـــا الا بايجاز واختصار :

أولا : من تلك الأمور ماهو (ديني) ·· ومنها ماهو (دنيوي) ·· الذي أعنيه من كلمة (ديني) مايتعلق بشفاء الأمراض الاجتماعية من نفسية وعقلية وتربوية وأمراض بيئية ·· والذي أعنيه من كلمة (دنيوي) مايتعلق بأمراض البدن واصلاح عيوبه ·

ثانيا : من تلك الأمور مايختص بعلوم العصر الحديث ·· أو مايختص بعلوم صدر الاسلام ومابعده ·· الذي أقصده بعلوم العصر الحديث مايعالج أمراض (الانسان الحديث) ·· والذي أقصده من علوم صدر الاسلام (ذلك التاريخ) الذي بدأ بالرسالة المحمدية ·

ثالثا : من تلك الأمور مايتعلق بالأشفية (والعقاقير) أو مايتعلق بمواد العطارة والأعشاب الطبيعية والصيدلانية ··

رابعا : ومن تلك الأمور مايستمد من علوم (عقلية) بشرية ·· أو مايستمد من علوم (فقهية) سماوية ·

ترى هل تم احتواء كل هذه الأمور ؟! ·· لا أعتقد ·· فالموضوع حيوي وخطير (كما ذكرت) ·· والموقف يحتاج الى (جمع شمل) وتكامل معا ·· ليس من حقي أن أصدر الحكم عليه وهو في بداية الطريق ·· ولكن حرية القول ومسؤولية العلم تجعلني لا أستبعد القارىء والجمهور عن أجواء ذلك المؤتمر ·· بل على العكس ·· من المحتوم على أن أشركه معي في التصورات (وتوقعات المستقبل) ·· وأن يتخيل معي تلك الصور الانسانية الخالدة ولو من بعيد ·

للحديث صلة

المركز الطبي الاسلامي الأول

وظهرت التوصيات للمؤتمر الطبي الاسلامي الأول ·· ظهرت بصياغة عصرية جديدة ·· تدل بلا شك على الحكمة والفهم والادراك ·· استندت بروحها وهيكلها على دلالات من الماضي ·· وركزت أنظارها على اشارة نحو المستقبل ·· لا للمؤتمر الطبي الذي تكلمنا عنه ·· وانما للمركز الطبي الأول الذي أوجده الصانعون ·· أنشأته عناصر خيرية مسلمة ·· وتبرعت به أسرة لها غيرة على الاسلام والمسلمين ·· الخير كل الخير في تلك الغيرة ·· والخير كل الخير في ذلك الفأل الحسن ·· أمر مؤكد في أمة الاسلام ·· وأمر مؤكد لا نشك فيه ·· لولا سؤال واحد يتلاعب بالأذهان ·· ترى كيف نضمن الديمومة لذلك المركز الطبي الاسلامي ؟! ·

صدقني يا أخي الكريم ·· أن الاجـــابة على هذا السؤال ليســـت عويصة ·· وضمان الاجابة عليه ليست أمرا معقـــــدا ·· لولا الهواجس والخواطر التي هي طبيعة من طبائع البشر ·· بل وصفة من صفات العقول البشرية المتحركة ·· فذلك المركز الطبي الذي نتكلم عنه سيكون الوحيد من نوعه ·· وستكون الدول الاسلامية من حوله كثيرة ومتعددة ·· ترى كيف نقرب بين وجهات تلك الدول ؟! ·· وتلك المؤسسة العلمية التي نتحدث عنها ستكون الفريدة في نوعها ·· أمامها وخلفها ومن حولها عقول بشرية يصعب حصرها أو صدها ·· ترى كيف نؤلف بين تلك العقول ؟! ·· نحن لا نشك أبدا فيما جاء من توصـــــيات ·· ولم يدر في خلدنا قط أن نكون في ذلك الموقف ·· بل العكس هو الصحيح ·· الا أننا قد توقعنا ·· بل ولازلنـــا نتوقع منها بأن تكون روح المركز وروح المؤتمر معا ·· وأن ديمومة المناهج والتخطيط لها لا نستبعد أبدا بأن تكون هي الجسد ·· ذلك الجسد الذي أوجده قويا وسليما ·· أوجده طوعا وبلا اكراه ·· ومنتهى الآمال فينـــا ومنا أن يكون خالدا ·· خالدا بالأفعال وان (صخبت) من حوله الآراء والعقول ·· خالدا بالأعمال وان تشابكت من حوله المواقف والعقبات ··· واليك في النهاية مجمل التوصيات :

أولا : توصيات عامة تعنى بالدول الاسلامية ·

ثانيا : وتوصيات خاصة تعنى بها دولة الكويت ·

التوصيات العـامة :

١ ـ تقدير البادرة الطيبة التي اتخذتها دولة الكويت بالدعوة لهذا المؤتمر ·

٢ ـ الدعوة لوصل الأمة العربية بتراثها ·

٣ ـ تشجيع البحوث العلمية التجريبية ·· وتقديم ثمرات تلك البحوث الى مجالات علاج الأمراض والوقاية منها ·

٤ ـ الدعوة لتشجيع دراسة التراث الطبي الاسلامي ·

٥ ـ مناشدة المتخصصين في تاريخ الحضارات والعلوم وتاريخ الطب في العالم ·· بأن يسلطوا على تاريخ الحضارة الاسلامية أضواء الحقيقة ·

٦ ـ مناشدة المسؤولين عن التعليم الطبي بأن تشـــمل المقررات على دراسة للاسلام ولتاريخ الطب الاسلامي ·

٧ ـ أن تعتمد وثيقة الكويت (عن الدستور الطبي) ووضعها تحت انظار المسؤولين في العالم الاسلامي ٠

٨ ـ والسعي لتشكيل مجلس اسلامي من أهل الثقـــة والكفاءة ومن المتخصصين في الفقه وعلوم الحياة ٠

٩ ـ تشكيل لجنة تقوم بمتابعة توصيات هذا المؤتمر وتنفيذ مايترتب عليها من اجراءات ٠

١٠ ـ كما يدعو المؤتمر أمة الاسلام كلها الى (واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا ٠٠ واذكروا نعمة الله عليكم اذ كنتم أعداءً ٠ فالف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا ٠٠ وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ٠٠ كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون) ٠ صدق الله العظيم ٠

التوصيات الخاصة :

أولا : تبني انشاء منظمة اسلامية بالكويت ذات استقلالية في العمل ٠٠ وعالمية في الأثر ٠٠ وتعنى بأمور اسلامية كثيرة :

(أ) احياء العلوم الطبية الاسلامية في مجال التراث والبحث العلمي ٠

(ب) تشجيع العاملين في مجال الطب الاســـلامي وتمكينهم من متابعة أبحاثهم لرفع المستوى الصحي ٠

(جـ) تشجيع هيئات وطنية تعمل لنفس الأهداف مع تقـــديم الدعم لهـــا ٠

(د) السعي لتطوير مناهج التعليم وخاصة في مجال الطب وتعـــاليم الدين الحنيف ٠

(هـ) العمل على توحيد المناهج العلمية والأخلاقيـــة الاسلامية لمهنة الطب ٠

ثانيا : يكلف المؤتمر معالي وزير الصحة في الكويت بتشكيل (هيئة متابعة) واختيار أعضائها بنفسه ٠

ثالثا : يناشد المؤتمر دولة الكويت بعقد المؤتمر الطبي العالمي الثاني في الكويت (أيضا) ٠٠ وبعد عام من الآن ٠

نعود من آخر المطاف والعود أحمد ·· نعود الى صلب الموضوع لنصل ما انقطع من كلام فنقول ·

أن علمـــــاء الغرب على مختلف مللهم ونحلهم ·· لازالوا يبحثون وينقبون ·· يبحثون عن بواطن الطبيعة وينقبون عن الجديد ·· واذا كان لهم من هنات ·· فكونهم لا يتفقون في نظرياتهم مع الادعاء الفكري ··· ولا يتهادنون مع التهويل البدني ·· الخصلة الطيبة فيهم أنهم طلاب معرفة حقيقية ·· وما النشاط الفكري والبدني عندهم الا نشوة تمتد ولا تتقلص ··· تتوالد ولا تنتهي ··· يربطون بها ما بين المـــاضي والحاضر ··· ويخططون لها وبها مابين الحاضر والمستقبل ·· وباختصار ·· أنهم ينتزعون من المجهول معلوما ·· ويخلقون من المعلوم نهجا ذا عبرة وثمرة ·· ترى هل الغفلة عندنا هي العائق المسؤول ؟! ·· أم أنها الثقة وحسن الطوية الى أبعد الحدود ؟! ·

سأقول قولي واؤكده ·· وسأقول في اجابتي (لا أدري) وسأبقى على كلمة (لا علم لي) حتى يظهر الكاتب المجيد ·· أو القارىء المجيـــد ·· أو الباحث المجيد ·

وعن قناعة وادراك سأقول ·· ان الكاتب المجيد والقارىء المجيد ··· قلما يجتمعان عند مقالة واحدة ·· والحظ السعيد سيكون لتلك المقالة اذا هما اجتمعا معا تحت لوائها ·· ترى هل أجدت في عرضي وتحليلي لتلك التوصيات ؟! ·

فاذا ما قيل عن هذا العرض والتحليل خيرا ·· فسأكون ذلك الكاتب المجيد ·· أما اذا لم يذكر بالخير ·· فساعتها سأكون ذلك القارىء المجيد ·· أو ذلك الباحث المجيد ·· والله في عوني ؟

د· يوسف الحميدان